وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً منكراً جداً فقال : حدثنا وهب بن إبراهيم القاضي سنة خمس وخمسين ومائتين ، حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزي ، حدثنا مقاتل بن حيان عن الأصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ ﴿إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر﴾ قال رسول الله ﷺ : ياجبريل ماهذه النحيرة التي أمرني بها ربي ؟» فقال : ليست بنحيرة ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع ، وإذا سجدت فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع ، وإن لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة . وهكذا رواه الحاكم في المستدرك من حديث إسرائيل بن حاتم به ، وعن عطاء الخراساني : ﴿وانحر﴾ أي ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل وأبرز نحرك يعني به الاعتدال ، رواه ابن أبي حاتم وكل هذه الأقوال غريبة جداً ، والصحيح القول الأول أن المراد بالنحر ذبح المناسك ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول: «من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له» فقام أبو بردة بن نيار فقال : يارسول الله إني نسكت شاتي قبل الصلاة ، وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم . قال : «شاتك شاة لحم» قال : فإن عندي عناقاً هي أحب إلي من شاتين أفتجزىء عني ؟ قال : «تجزئك وما تجزىء أحداً بعدك» .

قال أبو جعفر بن جرير : والصواب قول من قال إن معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد و لآلهة ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له وخصك به ، وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي وعطاء . وقوله تعالى : ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أي إن مبغضك ياحمد ومبغض ماجئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره ، قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة : نزلت في العاص بن وائل ، وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال : كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول : دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة ، وقال شمر بن عطية : نزلت في عقبة بن أبي معيط .

وقال ابن عباس أيضاً وعكرمة : نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش ، وقال البزار : حدثنا زياد بن يحيى الحساني ، حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصبي المنبتر من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال : أنتم خير منه ؛ قال فنزلت ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ هكذا رواه البزار وهو إسناد صحيح ، وعن عطاء : نزلت في أبي لهب ، وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين فقال بتر محمد الليلة فأنزل الله في ذلك ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ .

وعن ابن عباس : نزلت في أبي جهل ، وعنه : إن شانئك يعني عدوك ، وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم ، وقال عكرمة : الأبتر الفرد ، وقال السدي : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا بتر ، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا بتر محمد ، فأنزل الله ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره ، فتوهموا جهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره ، وحاشا وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمراً على دوام الآباد ، إلى يوم المحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد . آخر تفسير سورة الكوثر ، ولله الحمد والمنة .

سُورَةُ الكَافِرُونَ

ترتيبها ١٠٩ — آياتها ٦

ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وبـ ﴿قل هو الله أحد﴾ في ركعتي الطواف ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين ، قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعاً وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة ، ﴿قل ياأيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ . وقال أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال : رمقت النبي ﷺ أربعاً وعشرين أو خمساً وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بـ ﴿قل ياأيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ وقال أحمد : حدثنا أبو أحمد هو محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا سفيان هو الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد

عن ابن عمر قال : رمقت النبي ﷺ شهراً ، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بـ ﴿قل ياأيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ ، وكذا رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي أحمد الزبيري ، وأخرجه النسائي من وجه آخر عن أبي إسحاق به ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق عن فروة بن نوفل هو ابن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له : «هل لك في ربيبة لنا تكفلها ؟» قال : أراها زينب ، قال ثم جاء فسأله النبي ﷺ عنها قال : «مافعلت الجارية ؟» قال : تركتها عند أمها . قال : «فمجيء ماجاء بك» قال: جئت لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي قال : «اقرأ ﴿قل ياأيها الكافرون﴾ ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك» تفرد به أحمد . وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عمر القطراني حدثنا محمد بن الطفيل ، حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن جبلة بن حارثة . وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي ﷺ قال : «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ ﴿قل ياأيها الكافرون﴾ حتى تمر بآخرها فإنها براءة من الشرك» . وروى الطبراني من طريق شريك عن جابر عن معقل الزبيدي عن عبد الرحمن بن زيد أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ ﴿قل ياأيها الكافرون﴾ حتى يختمها وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن فروة بن نوفل عن الحارث بن جبلة قال : قلت يارسول الله علمني شيئاً أقوله عند منامي ، قال : «إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ ﴿قل ياأيها الكافرون﴾ فإنها براءة من الشرك» والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون ، وهي آمرة بالإخلاص فيه فقوله تعالى : ﴿قل ياأيها الكافرون﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض ، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش ، وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة ، فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال : ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ يعني من الأصنام والأنداد ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ وهو الله وحده لا شريك له ، فما ههنا بمعنى من ، ثم قال : ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه ، ولهذا قال : ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته ، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم كما قال ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ .

فتبرأ منهم في جميع ماهم فيه ، فإن العابد لابد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها إليه ، فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ، ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله أي لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا ما جاء به الرسول ﷺ ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ، ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ كما قال تعالى : ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ وقال ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ . وقال البخاري يقال : ﴿لكم دينكم﴾ الكفر ﴿ولي دين﴾ الإسلام ولم يقل ديني لأن الآيات بالنون فحذف الياء كما قال ﴿فهو يهدين﴾ ﴿ويشفين﴾ وقال غيره : لا أعبد ما تعبدون الآن ولا أجيبكم فيما بقي من عمري ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم الذين قال ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ انتهى ماذكره . ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد كقوله ﴿فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً﴾ وكقوله ﴿لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين﴾ وحكاه بعضهم كابن الجوزي وغيره عن ابن قتيبة ، فالله أعلم .

فهذه ثلاثة أقوال [أولها] ما ذكرناه أولاً [والثاني] ما حكاه البخاري وغيره من المفسرين أن المراد ﴿لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في الماضي ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في المستقبل

[الثالث] إن ذلك تأكيد محض [وثم قول رابع] نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه ، وهو أن المراد بقوله ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ نفي الفعل لأنها جملة فعلية ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ نفي قبوله لذلك بالكلية لأن النفي بالجملة الاسمية آكد ، فكأنه نفي الفعل وكونه قابلاً لذلك ، ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً ، وهو قول حسن أيضاً ؛ والله أعلم ، وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ على أن الكفر كله ملة واحدة . فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث لأن الأديان ماعدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود ، وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ «لا يتوارث أهل ملتين شتى» . آخر تفسير سورة قل يأيها الكافرون .

سُورَةُ النَّصْرِ

ترتيبها ١١٠ — آياتها ٣

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال النسائي : أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أخبرنا جعفر عن أبي العميس وأخبرنا محمد بن سليمان ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العميس عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لي ابن عباس : ياابن عتبة ، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت : نعم ، ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال صدقت . وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي من حديث موسى بن عبيدة البريدي عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال : أنزلت هذه الصورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق ، فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت ، ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا الأسقاطي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال «إنه قد نعيت إلي نفسي» فبكت ثم ضحكت وقالت : أخبرني أنه نعيت إليه نفسه فبكيت ثم قال «اصبري فإنك أول أهلي لحاقاً بي» فضحكت ، وقد رواه النسائي كما سيأتي بدون ذكر فاطمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم ، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال: ماتقولون في قول الله عز وجل ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذلك تقول ياابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ماتقول ، تفرد به البخاري . وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس ، فذكر مثل هذه القصة أو نحوها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿إذ جاء نصر الله والفتح﴾ قال رسول الله ﷺ : «نعيت إلي نفسي» فإني مقبوض في تلك السنة ، تفرد به أحمد : وروى العوفي عن